كلمة رئيس جامعة القدّيس يوسف في بيروت البروفسور سليم دكّاش اليسوعيّ في ندوة الانسنة والنص المقدس ، جامعة القدّيس يوسف في بيروت، حرم العلوم الإنسانية، ، الجمعة 23 شباط 2024.

أهلا وسهلا بكم في رحاب الجامعة اليسوعية كملتقى للحوار العلمي الرصين

فأقول ان لجنة الاشراف على هذا البرنامج فعلت حسنا انها لحظت موضوع وضعية النص المقدس في حواريته مع حركة الأنسانوية Humanisme التي ولدت في القرن الثالث عشر وما زالت تطبع بطابعها حركة الفكر البشري . فالأنسانوية تدعو إلى العودة إلى المصادر والينابيع، وبالتالي إلى اللغات والمخطوطات الأصلية لمؤلفي العصور القديمة اليونانية أو اللاتينية، كما هو الحال بالنسبة الى الكتاب المقدس او كتاب القرآن عند المسلمين. بفضل الترجمات إلى اللغات العامية، أصبح الكتاب المقدس في متناول جمهور متزايد باستمرار. وتتمثل الأنسانوية بالمفهوم الانثربولوجي في مسار جديد يعبر عن وجهة نظر وخلاصة تجارب ترى أن المعنى والتفسير الذي يكون معطى أو وجهة نظر ينبغي أن يكون منطلقه حواريا ونسبيا وبشكل كبير تحفظيا. إنها حالة تأويلية كما يراها البعض عند المفكر "بوصفها خلاصة تجارب جماعية في تأطير الفهم وبلوغ الدلالة. وبالتالي، فإن الحالة التأويلية تظهر بصفتها وجوداً معرفياً دائم التوسع والامتداد، وتمتلك آليات مختلفة. وقد ارتكزت آليات التأويل على مفاهيم عديدة ،فالقرن السادس عشر نقطة تحول حاسمة في تاريخ الكتاب المقدس. حيث أن الطباعة سهلت توزيعه وبالتالي ا لى معرفته وتفسيره بشكل فردي . فالكتاب في قدسيته يخرج من عباءة أهل الدين ليصبح ملك الأنسان الدي يعطيه المعنى المرتبط باختباراته وتساؤلاته.

إن الحداثة الجذرية المشتركة بين جميع العلماء الأنسانويين من يترارکوس الى اراسموس ليست البحث في النصوص القديمة واستخراجها ونشرها، حيث تم تنفيذ مثل هذه المهام خلال العصر الكارولنجي أو في القرن الثاني عشر. ولكن في الحقيقة ما هو جديد دلك النقد الذي وجهه هؤلاء العلماء لهذه النصوص. إنهم يدركون التناقضين الخاصين بالنصوص التي قرأوها من العصور القديمة: السياق والتحريف

بسبب النسخ. ومن ثم فإنهم يسعون جاهدين للعثور، من خلال البحث اللغوي، على النص الأولي بأكبر قدر من الدقة، بقدر ما يسعون إلى العثور على السياق الذي كتب فيه، لفهم معناه الأصلي.

وقد صاحبت حرية البحث والضمير والتعبير هذه ردة فعل من خلال الرقابة على النصوص المطبوعة، خاصة بعد الانفصال الديني في أوروبا (الإصلاح والإصلاح المضاد). كما لا نستطيع أن نقول إن حرية الفكر ظهرت مع عصر النهضة، لكنها نقلت الرؤية المتفائلة لإنسانية قادرة على إجراء أبحاث مفتوحة حول العالم.

وفي زمن الاكتشافات العظيمة ظهرت تطلعات جديدة على المستوى الديني. في الواقع، تعطي النزعة الإنسانية مكانًا مركزيًا للإنسان، الأمر الذي يشكك تمامًا في تفكير الكنيسة. وفقا للإنسانويين، لم يعد الإنسان خاطئا، إذ زل أمام الله وسقط بسبب الخطيئة الأصلية. فبقدرته على الخلق، وبملكاته الفكرية، يظهر الإنسان على العكس ومن ذلك في صورة الله. هذا التفاؤل وهذا الإيمان بإمكانيات الإنسان يقلبان المفاهيم التقليدية للعصور الوسطى التي فرضه التقليد الديني، والتي جعلت الله مركز الكون.

ومن خلال دراسة الفكر القديم، اكتشف الإنسانويون واحتفلوا بفلسفة وأخلاق بعيدة كل البعد عن التقليد الديني. إن البحث عن السعادة والحكمة يبدو جديدًا تمامًا، لأنه حتى ذلك الحين، يجب على الرجال، وفقًا للكنيسة، أن يهتموا فقط باحترام التقاليد القديمة.

كما تكسر الإنسانوية احتكار الكنيسة للحياة الفكرية. حيث في السابق، كان التعليم العالي في أيدي الكنيسة حيث يتم مناقشة المواضيع الدينية فقط، وكانت جميع المجالات، حتى العلوم، تابعة للدين.

والسؤال الي لا بد من طرحه هو التالي : كيف يوفق الدين بين معطياته الثابتة وتحديات الأنسانوية ?نعرف أن الفيلسوف الكندي العربي حاول التّوفيق بين الحقائق التي نهتدي إليها بالنظر العقلي، والحقائق المستفادة من النصوص الدينية، وهو في ذلك يعتبر أنّ للمعرفة طريقين- طريق العقل وطريق النقل أو الوحي، وكلاهما يوصل إلى حقيقة واحدة. والله واحد وأزلي ومبدع لم يسبقه وجود ولا ينتهي له

وجود، ولا يكون وجود إلاّ به، أمّا ظواهر الوجود فهي مرتبطة بعضها ببعض وأعلاها يؤثّر في أدناها، ويفضي بنا تأثير العلّة في المعلول وارتباط جميع المعقولات بالعقل إلى الإقرار بأنّ الحقائق كلية وضرورية ومطلقة وكاملة، وكلّ معانيها إلهية ولا خلاف بين الحكمة والشريعة، فالفلسفة علم الأشياء بحقائقها، والدين أيضا علم الحقّ، وهو لذلك يحاول أنّ يثبت أنّ الحقائق الدينيّة وما ورد في القرآن والأحاديث النبوية يمكن إثباته بالمقاييس العقلية، ففي علم الأشياء بحقائقها، أي الفلسفة، علم الربوبية، وعلم الوحدانية، وعلم الفضيلة، وجملة كلّ نافع والسبيل إليه، والبعد عن كل ضار والاحتراس منه، واقتناء هذه جميعا هو الذي أتت به الرسل الصادقة عن الله جل ثناؤه، فإنّ الرسل الصادقة، صلوات الله عليها، إنّما أتت بالإقرار بربوبية الله وحده، وبلُزوم الفضائل المرتضاة عنده، وترك الرذائل المضادة للفضائل في ذواتها وإيثارها.

وحديثا ومند عصر الأنوار الجامعة الكاثوليكية والمسيجية على العموم هي مكان متميز للحوار بين الإيمان والثقافة، وبين الإيمان والعقل. يعد هذا تمرينًا يوميًا وتحديًا كبيرًا لجميع الطلاب من جميع الخلفيات. يسعدني هنا أن أقول إن بعض خصائص التقليد الكاثوليكي تطبع بشكل عميق موقفنا وتعليمنا كجامعة كاثوليكية في الشرق في مواجهة الحقائق الأرضية. وهكذا فإن السمو الإلهي، كما يفهمه التقليد الكاثوليكي، يتوافق مع الاعتراف باستقلالية حقائق هذا العالم. يعلن المجمع الفاتيكاني الثاني Vat II ذلك صراحة بالقول إن "الأشياء والمجتمعات المخلوقة لها قوانينها وقيمها الخاصة، والتي يجب على الإنسان أن يتعلم شيئًا فشيئًا معرفتها واستخدامها وتنظيمها، ومثل هذا الشرط للاستقلالية مشروع تمامًا: ليس فقط هو يطالب بها رجال عصرنا، ولكنها تتوافق مع إرادة الخالق. إنه بفضل الخليقة نفسها، فإن كل الأشياء قد تم تأسيسها وفقًا لتماسكها وحقيقتها وتميزها، وبنظامها وقوانينها المحددة. ويجب على الإنسان أن يحترم هذا كله ويتعرف على الأساليب الخاصة بكل علم من العلوم والتقنيات. ويؤدي هذا الإعلان إلى إعطاء الإنسان دوره في معرفة القواعد وصياغتها، ولكن قبل كل شيء ليكون مسؤولاً، في عالم شرقي ومسيحي وإسلامي يظل موسوماً بالسحر والقدر وعزم العلي. أدعو لهذه الحلقة الدراسية بالنجاح لما فيه خير الناس والدين, وشكرا